

الفصل الثالث عشر

عقاب اللص

لست أخشى اللصوص.. فما معى ولا فى بىتى ما أخشى علىه الضىاع وأتقى أن أُمْنَى فىه بخسارة. ولو أن لصا كريما فىه مروءة دخل بىتى — أو حىث أقيم فما هو بىتى — وحمل ما فىه من متاع لحملته شكرى، ولبعثت بنسخة منه إلى الصحف.. فإن من اللؤم أن يقابل الإحسان بأقل من الشكر. فما أرى لى متاعا فى شىء مما حولى. وسبب آخر يجرونى على لقاء اللصوص وينفى عنى الخوف منهم ويجعلنى لا أتهيبهم، وذلك أنى كما تعلم — أو كما لا تعلم — ضامر ضاو، ظاهر الضالّة بادى الضعف. وأوجز تعريف بنفسى يحضرنى الآن، وهو أنى امرؤ فارغ الثياب.. وأحسب أن هذا تعريف شامل محيط جامع مانع، فإن لم يكن كذلك فأمهلونى، حتى يلهمنى الله ما هو أوفى. وأرجع إلى اللصوص فأقول إن الذى يجعل لقاءهم خطرا فى ساعات العمل هو أنهم يريدون التخلص مما وقعوا فىه اتقاء السجن وما فىه، والمفاجأة فى هذه الحالات تذهلهم وتطير صوابهم، فيحدث أن يضيفوا إلى جريمة السرقة جريمة أخرى هى الاعتداء على النفس.. أما إذا كان الذى يفاجئهم رجلا صغير الجسم مأمونا مثلى، لا خوف من قدرته على منع السارق من الفرار والنجاة.. فإن العدوان لا يخطر لهم على بال. وحسبهم أن يشدوا هذا المتطفل بحبل ويلقوه فى زاوية أو ركن، ويمضوا فى عملهم كأنما لم يعطلهم معطل. ومن هنا اطمئنانى، وهو اطمئنان لم يززع الثقة به إلى الآن مززع.

وقد اتفق لى أن كنت مرة فى الأقصر وكان الوقت شتاء، والأقصر طيب فى هذا الوقت.. فنزلت بالفندق ومضى يوم أو يومان — فقد نسيت لطول العهد — وإذا بصديق من أغنياء الأقصر يقع علىّ فى شرفة الفندق حىث يجلس أكثر النزلاء يشربون الشاى قبيل المغرب. وأقول يقع على — وأنا أعنى ما أقول — فقد كان ظهرى إليه وهو مقبل، ويظهر أن باله لم يكن إلى الأرض وهو سائر فاصطدمت رجله بساق الكرسي